جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية
الجزائري
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مقياس: النثر الشعبي
ماستر 1 أدب جزائري
الدكتور: آية الله عاشوري

## المحاضرة الأولى:

## المثل الشعبي

الأمثال خلاصة لتجارب إنسانية طويلة؛ إنها صورة حقيقية لأحوال المجتمع المتداولة بين أفراده، ومن ثمة فهي ألصق بالحياة الشعبية، وأصدق أشكال التعبير في تصوير حياة الأفراد في سائر مناحي حياتهم؛ وأنواع العلاقات القائمة بينهم، وهي أسير من كل قول؛ إنها بحق صفوة الأقوال؛ وزبدة الكلام؛ وعصارة الأفكار؛ ونتيجة التجارب؛ ووليدة القرائح المجبولة على حسن صياغة الألفاظ؛ ومرآة للأحوال المعيشة؛ وصورة حقيقة للمبادئ والمعتقدات.

إنها أقوال تبلورت في العقل؛ فتدفقت بصفاء على الفكر؛ فاهتز لها القلب؛ ليترجمها عنه اللسان بإيجاز في اللفظ، وكثافة في المعنى؛ وقوة في اللغة؛ وفصاحة في البيان؛ وبلاغة في التصوير؛ فكانت زينة في الكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للأفهام، لها التأثير البليغ في النفوس، والموقع الحسن في الأسماع.

لقد تميزت الأمثال عن الشعر بالحفظ والبقاء، وشرفت عن الخطابة؛ فلم يسر ضرب من ضروب الكلام مسيرها؛ ولا عمّ عمومها؛ ولذلك ضرب الله عز وجل الأمثال في محكم التنزيل؛ وجعلها من دلائل رسله؛ وتخيرتها العرب؛ وقدمتها العجم؛ ولن تجد ثقافة تخلو من الأمثال؛ فهي السجل الذي يحوي بين طياته حضارة المجتمع الإنساني بآماله وآلامه.

## 1. تعريف المثل:

### 1.1 لغة:

المثل عند ابن منظور هو: «الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله...»[1]

أما الفيروز آبادي فقد أورد أن: «المثل محركة الحجة والحديث، وقد مثل به تمثيلا وامتثله وتمثله وبه... تمثل بالشيء ضربه مثلا.»[(2)]

ويقول الفراهيدي : «المثل الشيء يضرب للشيء فيجعله مثله.»[3]

ويعرفه الزمخشري بقوله: «مِثْلُهُ ومَثِيلهُ ومُمَاثِلُهُ، ومَثَّلَ بِهِ مُثْلَةً... ومَثَّلهُ به: شَبَّهَهُ، وتَمَثَّلَ بِهِ: تَشَبَّهَ، ومَثَّلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: سوّى به وقدّر وتقديره.»[4]

ونجد المثل في المعجم الوسيط: «جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير، مثل: (الصيف ضيعت اللبن) و(الرائد لا يكذب أهله) و. الأسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة. (ج) أمثال.»[5]

ويقول الميداني: «أربعة أحرف سمع فيها، فِعْلٌ و فَعَلٌ؛ وهي مِثل مثَل؛ وشِبْه وشَبَه؛ وبِدْلٌ وبَدَل؛ ونِكل ونَكل، فمثل الشيء ومَثَله شِبْهُهُ وشَبَهُهُ، ما يماثله ويشابهه قدر ا وصفة، فالمثل ما يمثل به الشيء: أي يشبهه...

غير أن المثل لا يوضع في موضع هذا المثل؛ وإن كان المثل يوضع موضعه... فصار المثل اسما مصرحا لهذا الذي يضرب ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة؛ فيقال: مثلك ومثل فلان؛ أي صفتك وصفته؛ ومنه قوله تعالى:﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾[6]، أي صفتها؛ ولشدة امتزاج معنى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 11، ص 611.

[2] . الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت – لبنان، الجزء الرابع، ص49 وما بعدها.

[3] الفراهيدي، العين، ج4، ص 118.

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، ص 417.

[5] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص 854.

[6] سورة محمد ، الآية: 16.

الصفة به صح أن يقال: جعلت زيدا مثلا؛ والقوم أمثالا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ساء مثلا القوم﴾[7] جعل القوم أنفسهم مثلا في أحد القولين. والله أعلم.»[8]

وقال القيرواني: «المِثل والمثِْل الشبيه والنظير؛ وقيل: إنما سمي مثلا لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبدا يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر ...، وقد يكون المِثل بمعنى الصفة؛ من ذلك قول الله تعالى:﴿مَثَلُ الجنة الّتي وُعِدَ المتّقون﴾[9] أي صفة الجنة، وقوله:﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[10] الصفة العليا وهي قولنا لا إله إلا الله، وقوله تعالى: ﴿ذلك مَثَلُهُم في التوراة ومَثَلُهُم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾[11] أي صفتهم.»[12]

## 2.1 اصطلاحا:

### 1.2.1 عند علماء العرب:

لقد حظي المثل باهتمام علماء العرب قديما وحديثا، لذا نجد تعاريف كثيرة ومختلفة؛ ومنها نستعرض ما يلي:

**تعاريف القدماء:**

عرف ابن المقفع المثل بقوله: «إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.»[13]

وها هو ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) يصف الأمثال بأنها: «وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها؛ حتى قيل أسير من مثل، وقال الشاعر:

---

[7] سورة الأعراف، الآية: 177.

[8] الميداني ، مجمع الأمثال، ج1، ص 70 وما بعدها.

[9] سورة محمد، الآية: 16.

[10] سورة الروم الآية: 26.

[11] سورة الفتح، الآية: 29.

[12] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج1، ص 195.

[13] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 70.

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه؛ وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه.»[14]

ويقول أبو عبيد: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح؛ فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف.»[15]

وقال الفارابي في كتابه (ديوان الأدب) حسبما أورده السيوطي في (المزهر): «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة؛ أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة.»[16]

ونقلا عن السيوطي يعرف المرزوقي المثل في كتابه (شرح الفصيح) على أنه: «جملة من القول مقتصبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها؛ وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أّسبابها التي خرجت عليها.»[17]

ويشيد أبو هلال العسكري بالمثل وأثره قائلا: « رأيت حاجة الشريف إلى آداب اللسان؛ بعد سلامته من اللحن؛ كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والبدرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويسكبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور؛ ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه... ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل

---

[14] ابن عبد ربه الأندلسي،كتاب العقد الفريد، ج3، ص 63.

[15] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 486.

[16] المرجع نفسه، ج1، ص 486.

[17] المرجع نفسه، ج1، ص 486 وما بعدها.

أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها؛ ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل على الإطناب؛ ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب.

والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه وبالغ في التماسه حتى أتقنه، وإنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية وتقدم في الدّراية... وقد علم أن كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غايتها وأبعد نهايتها؛ كان منقرضا في الأدب غير تام الآلة فيه ولا موفور الحظ منه.»[18]

وقد لخص الزمخشري معنى المثل وأثره في كتابه (الكشاف) فقال: «ولضرب العرب الأمثال؛ واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيّل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه شاهد وفيه تسكيت للخصم الألذ وقمع لثورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله.»[19]

أما الخوارزمي فقد قال عن الأمثال في مقدمة كتابه (الأمثال): «هي قريب إلى الفهم؛ عذبة على اللسان، مقبولة في القلب، لا يجهلها العامة، ولا يتكبر عنها الخاصة، وأكثرها مرسلة لا يعرف أصحابها لإتيان الزمان على ذلك، ولأن كلام العرب لا تقيده الأفهام، ولا تشغل بتخليده الأقلام، ولا يجري في الضبط والرواية مجرى كلام العرب الذين حفظوا أنسابهم وقيدوا آدابهم، وعلموا أن الأمثال حكمتهم فوعوها...»[20]

وهكذا نستشف من تعريفات علماء العرب القدماء للمثل أنه عبارة موجزة قيلت في موقف حاسم؛ فأعجب بها الناس إما في إحكامها وإما بطباعتها وإما بلغتها وإما بقولها في التعبير وأداء

---

[18] أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، ج1، ص 15.

[19] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 72

[20] الخوارزمي، الأمثال، ص 5.

المعنى أو غير ذلك؛ أو باجتماع كل هذه الصفات أو بعضها؛ فتداولتها الألسن واستشهد بها في مواقف مماثلة لما ضربت له؛ ومن ثمة شاعت وذاعت.

بالفعل لقد اشترط بعضهم الشيوع والذيوع بين الناس كصاحب العقد الفريد ابن عبد ربه الذي يرى أنه: (لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها؛ حتى قيل: أسير من مثل)، والمرزوقي الذي يرى أيضا أنّها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، والفارابي الذي يعتقد أن الأمثال (ما ترضاه العامة والخاصة)، ولكن الشيوع والذيوع عندهم لا يعني سوى التداول بين طبقة معينة.

فالمثل تعبير عن حال من الحالات؛ أو تشخيص لموقف من المواقف؛ أحدثه فرد وأعجب به جمع فتداولوه فصار ملكا للمجتمع كلِّه، يستشهد به الأفراد في كلامهم أو كتبهم، فيتحلى به القول وتتجمل به الكتابة.

**تعاريف المحدثين:**

لما كانت الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية، فإنها قد ألمت بكل جوانب الحياة من حب وكراهية ومعاملة وأخلاق وغير ذلك مما يتعلق بالحياة وينبع عنها ويصب فيها؛ فمجالها واسع ونطاقها شاسع؛ وبها يعرف أخلاق الشعب وتعلم نظرته للحياة بناء على معتقداته وعاداته وتقاليده وتفكيره.

ولهذا اهتم بها المحدثون كما فعل القدماء؛ وسنورد بعض تعاريفهم فيما يلي:

يعرف أحمد أمين المثل قائلا: «الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية؛ ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني؛ فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي؛ يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها.»[21]

[21] أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ج1، ص 61.

أما رشدي صالح فقد عرف المثل بقوله: «إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي؛ ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية.»[22]

ويقول الأستاذ قادة بوتارن عن الأمثال في مقدمة كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية): «إنها جواهر قد حفظت من التلف باندساسها في ذاكرة الأجيال المتتالية؛ وهي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل قوم؛ وذلك لأنها وليدة لظروف معينة؛ وبالتالي وليدة التاريخ والجغرافية والمناخ والتربية...إن خاصيتها الأساسية هي الإيجاز؛ فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فن الحياة، فإنها تعبر عما تكنه الشعوب في أعماق أنفسهم، ولذلك يكاد يعرف قائلوها من بين هذه الشعوب بمجرد الإطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها.»[23]

ومن المحدثين يقول الدكتور يوسف عز الدين: « المثل هو الصورة الصادقة لحال الشعوب والأمم؛ ففيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر السنوات الطويلة من حضارتها؛ وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها؛ نجد في طياته مختلف التغييرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة وطرق متعددة كالسخرية اللاذعة والحكمة الرادعة.»[24]

والمثل كما يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في النثر العربي): «هو فلسفة الحياة الأولى؛ وله في تاريخ الفكر أهمية؛ لا يدركه إلا من تعمق في دراسة نفسية الشعوب ودراسة التطور الفكري عند البشر.»[25]

ويقول محمد أبو صوفة: «والمثل سواء أكان في معناه الظاهري المسجل للحدث أم بمعناه الباطني الذي يشتمل على الموعظة والحكمة؛ فإنه مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب، فهو تراث

---

[22] أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ص 6.

[23] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 5.

[24] محمد إسماعيل صيني وآخرون، معجم الأمثال العربية، المقدمة، ي.

[25] المرجع نفسه، المقدمة، ي.

العامة والخاصة، وهو واحد من أهم مكونات الشخصية الأدبية العربية، وهو ملمح من ملامحها الأصيلة؛ وهو إلى هذا وذلك نهاية البلاغة في لغتها كما أنه دليل الحصافة والفهم؛ والأمثال مصابيح الأقوال.»[26]

ويقول الدكتور عبد الباري محمد داود عن المثل: «...وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائمة؛ والشواهد بها واضحة؛ والنفوس بها واقعة؛ والقلوب بها واثقة؛ والعقول لها موافقة؛ فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز؛ وجعلها من دلائل رسله؛ وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة؛ وفي القلوب مقبولة؛ ولها أربعة شروط:

أحدها: صحة التشبيه، والثاني: أن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا، والثالث: أن يسرع وصولها للفهم ويعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها ولا كد في استنباطها، والرابع: أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا.

فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام؛ وجلاء للمعاني؛ وتدبرا للأفهام.»[27]

ويقول سيمون إبراهيم حمصي: « إن صنع المثل على الرغم من عفويته يحتاج إلى نفس حساسة بارعة في صياغة اللفظ المطابق للشعور والفكرة في موقف ما ؛ فإذا لم تتيسر للمثل هذه الصفات مات لحظة ولادته؛ هذا والمثل الناجح في قصة ولادته يخرج من فم إنسان واحد ظريف حكيم لطيف محرق، ليصبح مثلا شعبيا بعد أن يقر الذوق العام (ذوق الشعب) ذلك المثل فيردده ويرويه... ولها سمات فنية لطيفة كالإيجاز والموسيقة والتنغيم والصنعة اللفظية المحببة المقبولة والتصوير المجسد للمعنى والحوار المحيي للموضوع. فمما يدني الأمثال إلى القلب إيجازها، والمثل لحظة من نور تضيء لك فتدعك أمام دنيا من الأفكار في زمن وجيز.»[28]

---

[26] المرجع نفسه، المقدمة، ي.

[27] عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص 89.

[28] سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، ص 424 وما بعدها.

ويعرفها رابح خدوسي بقوله: «المثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال وعصارة الأفكار سبقتنا عبر التاريخ الإنساني؛ وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون عن صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام.»[29]

ويقول عنها في موقع آخر: «هي صورة واضحة عن تاريخ من العطاء البشري؛ وعن حياة أجيال وأجيال مليئة بالتجارب والخبرات بالأفراح والأقراح وأساليب الحياة المرتبطة بهما؛ وهي أيضا سجل يتضمن منظومة فكرية تحتوي على مجموعة قيم اجتماعية؛ تربوية؛ أخلاقية وسياسية... إلخ تفيد الباحثين والدارسين في استكشاف الماضي قصد استشاره في الحاضر والمستقبل.»[30]

ومن أهم التعاريف المعاصرة ما أوردته الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها (أشكال التعبير في الأدب الشعبي) حيث تقول: «المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية؛ يعايش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا»[31]. وتقول في موضع آخر: «إن صياغة المثل بدأت فردية قد نطق به فرد في زمان معين ومكان معين، وإذا مس المثل حس المستمعين له؛ فهو حينئذ بينهم وكأنه عبارة ذات أجنحة؛ وعندئذ يتعرض المثل للتحوير والتهذيب حتى يوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا.»[32]

وبناء على تقدم نجد أن نظرة المحدثين إلى المثل قد أخذت صورة أشمل وأعم؛ محاولة منهم إلى ربطه بأخلاق الشعب وعاداته؛ ومزج الجانب الأدبي بالجانب الاجتماعي قصد الوصول إلى تعريف دقيق للمثل.

فالمثل عندهم ما نطق به الفرد فاستحسنه الناس ليصادف رواجا بين الألسن، فيشيع بينها ويذيع؛ أو هو ذلك القول الموجز المستوعب من حكمة الشعب؛ والمولود من البيئة الاجتماعية، معانيه مكثفة؛ وسبكه محكم؛ وتصويره بليغ، صاغة عقل فرد مجبول على صياغة الحكم والأمثال؛ ثم

---

[29] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية، ص 5.

[30] المرجع نفسه، ص 5.

[31] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 98.

[32] المرجع نفسه، ص140.

صادف رواجا عند سائر الناس؛ فتداولوه وتحدثوا به في مواقفهم المعيشية؛ بما فيها من مشاكل وتناقضات الحياة التي تنعكس على سلوكاتهم وأفعالهم خيرها وشرها.

ولما كان المثل تصوير للحياة الاجتماعية بجوانبها السلوكية والأخلاقية؛ ومرآة صادقة ومطابقة لما يعيشه الشعب من آمال وآلام اكتسى طابع الشعبية سواء كان فصيحا أو عاميا.

وعلى ذكر عامية المثل لابد من تبيان أن تلك السمة لا تعد مطعنا في بلاغة المثل ولا منقصة من قدراته التبليغية والتأثيرية؛ لأن الأذواق تحصل بكثرة استعمال لغة ما؛ وما تعارف عليه أفراد المجتمع من مصطلحات تبلغهم مقاصد الفهم ومراد الاستيعاب؛ فكل فرد مدرك لبلاغة لغته وذائق لمحاسن الكلام المتداول بين أفراد مجتمعه؛ ومن هنا كانت العامية في المثل الشعبي بلاغة وفصاحة.

### 2.2.1 عند علماء الغرب:

يعرفه آرثر تايلور بقوله: «المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع»[33]

ويقول أرسطو:«المثل هو العبارة التي تتصف بالشيوع والإيجاز؛ ووحدة المعنى وصحته.»[34]

كما عرفه سوكولف بأنه: «جملة قصيرة صورها شائعة تجري سهلة في لغة كل يوم، أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية.»[35]

ويقول سرفانتس: «الأمثال حكم قصيرة مستقاة من تجربة طويلة، لعلها تجربة شعوب بأسرها منذ أقدم العصور.»[36]

ويعرفه ريفارول بقوله: «الأمثال خبرة الشعوب، ونتيجة التفكير السليم، اختزلت إلى صيغة مصغرة.»[37]

---

[33] محمد إسماعيل صيني وآخرون، معجم الأمثال العربية، المقدمة، ط.

[34] المرجع نفسه، المقدمة، ط.

[35] أحمد رشيدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ص 335.

[36] روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، ص 551.

[37] المرجع نفسه، ص 551.

وعنه يقول جون راسل: «المثل ذكاء فرد وحكمة الجميع.»[38]

فالملاحظة من هذه التعريفات أنها تشمل نظرة أخرى للمثل غير تلك الصورة التي رسمها العرب له بتعريفاتهم، فالمثل عند علماء العرب جملة موجزة، مصيبة للمعنى، وشائعة الاستعمال؛ مع عدّ المثل مضمونا اجتماعيا قبل عدّه مضمونا أدبيا، وقد أضفوا عليه سمة الشعبية كونه نتاج تجربة الشوارع؛ كما يتداول في إنجلترا: (الأمثال حكمة الشوراع)[39]؛ و(الأمثال ولائد التجربة)[40]، وما هو شائع في السويد: (تتكلم الأمثال عما تفكر به الشعوب)[41].

## 2. خصائص ومميزات المثل الشعبي

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي بمجموعة من الخصائص والمميزات، نذكر منها:[42]

* اللغة المستعملة في المثل هي اللهجة العامية، لغة الحياة اليومية المستعملة بين أفراد الشعب بمختلف فئاته وتعدد مستوياته، ومن المعروف أنها لا تخضع لقواعد ولا لضوابط لغوية.

* الشفوية: لا يخضع لعملية التدوين أثناء نشأته الأولى، إذ ينقل عن طريق الرواية الشفوية عامة ، معتمدا على اللغة المنطوقة ، التي تعارف المجتمع على فهم رموزها ومدلولاتها ، وتعد الذاكرة الناقل الأساسي ، لهذا الإبداع الشفوي ، واللغة الشفوية تتميز بالمرونة والسهولة ، ولا تعتمد على قواعد الإعراب وهي اللغة الأم التي يتعلمها الطفل ، ويتلقاها من أسرته ، ويتعامل بها في حياته اليومية.

---

[38] المرجع السابق، ص 551.

[39] رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 230.

[40] المرجع نفسه، ص 230.

[41] المرجع نفسه، ص 230.

[42] انظر،

* نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 174.

* بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ص 32.

* مرتاض عبد المالك، عناصر التراث الشعبي في رواية "اللاز"دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ص 100.

* سلام رفعت، بحث عن التراث العربي –نظرة نقدية منهجية–، ص 227.

* الصدق في التعبير، فهو ينقل حال الفرد والجماعة، معبرا عن الآمال والآلام، إنه خلاصة تجارب الشعب، والمرآة العاكسة لثقافة الأمة وفلسفتها ونظرتها إلى الحياة.

* إيجاز اللفظ وكثافة المعنى: بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير، فهو مكون من أقل قدر من الألفاظ، وأكبر قدر من الدلالة، وتتميز بجودة المعنى والاختصار والتركيز.

* الطابع الشعبي ومجهولية المؤلف: المثل الشعبي هو وليد التجربة الذاتية، ثم ذابت التجربة الفردية في الجماعة، لتصبح جماعية ومشتركة بين الناس، تمس واقعهم ومعاناتهم ، أفراحهم وأتراحهم في إطار المجتمع الذي وافق عليها من خلال عملية التداول والتناقل.

* الإيقاع: فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة تتماسك وتصمد أمام الزمن، توفرها على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير، والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، فالإيقاع إذا ما وجد في المثل عمل على إظهاره أكثر من الكلام العادي، والمتكلم عندما يعتمد على الأمثال في حديثه فإن السامع يتفطن إلى التعابير المثلية، وذلك لتغير نبرة صوت المتكلم، وهذا لما تتسم به من خصائص بلاغية وإيقاعية وتركيبية.

3. جمع الأمثال الشعبية في الجزائر:

تمتاز الأمثال بدقة لغتها؛ ومحكم سبكها، فلهذا وغيره تبرز أهمية هذا الجنس الأدبي الذي صار محط أنظار الدارسين؛ وحظي بعناية الأدباء والمؤرخين والباحثين؛ سواء كان فصيحا أم عاميا؛ فكلاهما سجل فكري من العطاء البشري؛ وكل منهما يكتسي طابع الشعبية؛ باعتبار أن المثل يتصل بجذور الشعب.

فقد أفردت للأمثال كتب خاصة منذ القدم، ولعلّ أكبرها شأنا وأشهرها ذكرا (مجمع الأمثال) للميداني؛ فقد جمع في كتابه ما يزيد عن الستة آلاف مثل عربي فصيح.

أما في العصر الحديث فقد جمعت الأمثال بمختلف اللغات واللهجات في دواوين؛ فضلا عن المجلات والدوريات والصحف التي لا يخلو عدد منها إلا وينشر بين طياته مثل أو أكثر؛ والأمثال الشعبية الجزائرية قد جمع بعضها في مصنفات نذكر منها:

ومن بين مصنفات الأمثال الشعبية للأدباء الجزائريين نذكر:

* مصنف محمد بن أبي شنب (أمثال جزائرية من الجزائر والمغرب):

وضع مصنفه في مستهل القرن العشرين، الذي أسماه (أمثال جزائرية من الجزائر والمغرب)، إذ يعد أقدم كتاب جمعت فيه الأمثال الشعبية الجزائرية، لم يكتف فيه بذكر الأمثال السائرة في الجزائر فقط، بل توسع فيه فذكر أيضا الأمثال الشائعة في العالم العربي والإسلامي، عمد من خلاله إلى مقارنة الأمثال التي جمعها بما جمعه الباحثون المستشرقون، وأيضا اعتماده على الكتب التراثية.

أما بالنسبة لترتيب الأمثال فالمؤلف لم يكتف بتصنيفها وفقا للحروف الأبجدية لتسهيل البحث، بل قام بترجمتها مرفقة بالشروح بغرض بيان استعمالاتها، والبحث بالنسبة لبعضها عما يعادلها خاصة بالفرنسية ، كما سجل الأماكن التي سمعها فيها مستعملة، وأشار إلى ما يوازيها في الأمثال التي توجد في مصر وسوريا والجزيرة العربية، وبين ما هو منها مستعار مباشرة أو بصفة غير مباشرة من القرءان ومن الحديث ومن المجاميع الشهيرة للأمثال الأدبية للميداني والعسكري[43]، وقد احتوى مصنف ابن شنب على 3127 مثل، إضافة إلى 70 حكمة، مرتبة وفق التسلسل الأبجدي لحروفها الأولى، مترجمة إلى اللغة الفرنسية، وموثقة من حيث مصادرها، عليه شرح وتعليق المصنف.

* مصنف عبد الحميد بن هدوقة (أمثال جزائرية):

عبد الحميد بن هدوقة ومن خلال مصنفه (أمثال جزائرية) حاول جمع أكبر قدر من الأمثال المتداولة في قرية الحمراء غرب مدينة سطيف، والتي قاربت الستمائة وأربعين مثلا مصنفا ومشروحا مع التعليق عليه، ورد الكثير منها إلى أصولها في التراث العربي الإسلامي، يقول في مقدمة مصنفه: «متداولة في قرية جبلية منعزلة عن العالم، لا تربطها أية وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة به، أمثالا نجدها متداولة في جهات أخرى، من الجزائر ومتداولة أيضا بصيغ قريبة من صيغها في بلدان المغرب العربي، وفي الأمثال العربية القديمة، لهي خير تعبير عن هذه اللحمة المجتمعية والثقافية والحضارية للشعب الجزائري الواحد، مهما تباعدت جهاته، وامتدت أراضيه، ولهي خير دليل كذلك على هذا التداخل للنسيج الثقافي والحضاري والمجتمعي بين مختلف الشعوب العربية في غربها وشرقها.»[44]

---

[43] بورايو عبد الحميد ، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م، ص 70.

[44] عبد الحميد ابن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 8.

وقد اعتمد في كتابه على ما تحفظه ذاكرته، وكذا حفظة التراث الشعبي، ثم حاول شرحها حيث يقول على المنهج الذي اتبعه: «أوردت المثل، وذكرت السياق الذي يقال فيه، ولاحظت مدلوله الأخلاقي والاجتماعي كلما بدا لي ذلك ضروريا، ثم أتيت بمثل أو أمثال مشابهة له، أو أشعار تؤيد رؤية صاحب المثل، وتبين اشتراكه مع غيره في تلك الرؤية، خاتما الشرح والتعليق بالجانب اللغوي عندما أرى ذلك مناسبا أو ضروريا، كما لم أغفل القصص المتعلقة بالأمثال، سواء لأهميتها الاجتماعية والحضارية، أم لطرافتها وأسلوبها إذا كانت من القصص القديمة، والغرض من ذلك هو إعطاء الكتاب صبغة أدبية تحبب القارئ في مطالعته، وتمكنه من الدخول إلى عالم الأدب الشعبي والأدب العربي القديم.»[45]

* مصنف قادة بوتارن (الأمثال الشعبية الجزائرية): مصنف قادة بوتارن، والذي يحوي ما يزيد عن العشرة آلاف مثل؛ فقد وزع الأمثال وفق الحقول الدلالية لها، وقد رتبها في ستة أجزاء؛ مع شرح كل مثل شرحا موجزا؛ والأمثال التي أوردها هي تلك التي تداولها الناس في منطقة الجنوب الغربي.

أما طريقته في التبويب فتختلف عن المصنفين السابقين، فهي تعتمد على تصنيف الأمثال وفق الموضوعات، ثم محاولة ترتيبها ألف بائيا داخل كل موضوع، حيث يقول في مقدمة مصنفه: «إن الدراسات رتبت الأمثال ترتيبا ألف بائيا، وقد أخذنا على أنفسنا أن نخرج عن هذه الطريق المعبدة إلى طريق أخرى ولم يكن ذلك هينا، وهو أن نجمع هذه الأمثال بحسب الموضوعات ومراكز الاهتمام، غير أن المثل يصعب أن يدرج في باب من الأبواب، وأن يركن في مكان واحد ، لأنه قد ينتمي إلى أكثر من موضوع، وبذلك تتداخل الموضوعات وتتكرر وقد تتعارض أحيانا، وقد قال الكاتب الفرنسي ميسي أنه: ما من مثل إلا وله مثل آخر يناقضه، ومهما كان فإننا بذلنا قصار جهدنا في حصر هذه الأمثال وإحلال كل مثل محله من المجموعة حتى تسهل قراءتها والرجوع إليها على أن الترتيب الألف بائي قد عملنا به داخل كل موضوع.»[46]

وقد رتب الأمثال في ستة أجزاء، يحتوي كل جزء على مجموعة أبواب وهي كالآتي:

---

[45] المرجع نفسه، ص 9.

[46] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1987م، ص 5 وما بعدها.

الجزء الأول: الحياة ونواميسها.

الجزء الثاني: العلاقات الاجتماعية.

الجزء الثالث: في السلوك.

الجزء الرابع: العائلة.

الجزء الخامس: الإنسان.

الجزء السادس: السخرية والدعابة والتهكم.

وقد اعتنى قادة بوتارن بشرح المثل شرحا موجزا ، والتعليق عليه بغية توضيح مبتغاه.

* مصنف رابح خدوسي (موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية):

حيث جمع فيه المؤلف الأمثال الجزائرية من مختلف المناطق، وقدرت بـ 3000 مثل دون شرح ولا تعليق، وقد اعتمد على الترتيب الأبجدي في التسجيل.

* محمد سعيدي (أمثال زراعية):

جمع فيه الأمثال الجزائرية من مختلف المناطق، منتقيا منها ما تعلق بمجال الزراعة، مع الشرح والتعليق.

* مصنف عزالدين جلاوجي (أمثال جزائرية بسطيف):

حيث جمع فيه ما يقارب 327 مثلا متناقلا بمنطقة سطيف، مرتبة ترتيبا أبجديا مع شرحها وإرفاقها ببعض القصص التي تشرحها، وقد أفرد القسم الأول منها لتعريف المثل وذكر وظيفته وتبيان خصائصه ومميزاته.